تكوين العنف في الشخصية العراقية: الأسباب والمؤشرات
(دراسة نظرية)

د. نوري سعدون عبد الله
جامعة الأنبار /كلية الآداب

ملخص بحث

يعد تكوين العنف في الشخصية العراقية من الظواهر المهمة التي نالت اهتمام العديد من العلماء والمختصين في علم الاجتماع، و علم النفس، فتكوين العنف في الشخصية ولاسيما الشخصية العراقية نتج عن تراكم في العديد من الاسباب ومنذ عقود طويلة كلها ادت الى ان يكون الشخص العراقي ذا طبيعة عدوانية ميالة الى العنف وهذا ما برز في العديد من الظروف التي هيأت الى ظهور مثل تلك المظاهر ولا سيما ان حياتنا التي كانت آمنة قد اقتحمتها ظاهرة جديدة – قديمة وهي العنف المسلح تحت عباءة الدين ومفاهيمه (الجهاد و المقاومة) وبهذا اخذت تظهر ثقافة جديدة سميت بثقافة العنف التي تبنتها الشخصية العراقية والتي تتميز بالتشديد والتطرف في آن واحد، ولهذا حاول الباحث توضيح العوامل المساهمة في ظهور العنف سواء كانت عوامل اجتماعية، أو بيئية، أو ثقافية، ومعرفة اسباب تكوين العنف في الشخصية العراقية وذلك بالاستناد على آراء بعض علماء الاجتماع وعلماء النفس. وبعدها حاول الباحث التوصل الى ابرز مؤشرات العنف بما يتعلق بضحايا العنف والاعداد التي طالتها يد العنف المسلح، كما توصل الباحث الى العديد من النتائج والتي كان من اهمها ان للعنف آثاره النفسية والاجتماعية خطيرة تؤدي الى نتائج عكسية على الشخصية المضطربة التي تكون اكثر استقبالاً لظاهرة العنف.

المقدمة :–

إن طغيان العنف المهيمن على الشخصية العراقية يعلن عن نفسه في مجمله السلوكيات اليومية ولاسيما على الصعيد السيكولوجي بل حتى في نبرات الصوت المتوترة بالغضب والعصبية والتشنج والمحملة بالتهديد والوعيد كنوع من خطاب يومي متبادل اجتماعيا بين أفراد يبدون وكأنهم يعانون من أعراض تأخذ أبعادها المختلفة بين صياح وصراخ حيناً وتتجسد بالضرب عنفاً وخشونة حيناً أخر، ليبدو الأمر برمته سلوكاً يومياً طاغياً يسده وكأنه جزء من الجينات المتوارثة أو العادة المزمنة المرافقة للحالة النفسية المتوترة مصدراً أو منيعاً كمعين لا ينفي.

وحسب تحليل علماء النفس أن حدة النبرة العالية في الصوت بالنسبة للمرء وكذلك حركات جسده المتطاوحة والمتصفة بالقوة والعنف قد تغير عن موقف أو سلوك عدائيين أو قد تخلق شعوراً بذلك، كنوع من إرهاب نفسي ضد الأخر بغية فرض الرأي أو الإرادة أو السلوك التعسفي ضد الأخر وإجباره على قبول المسألة على أنها أمراً واقع مسلم به مسبقاً ولهذا فالعنف ذو أبعاد تاريخية وسياسة عبرت عن نفسها بأشكال مختلفة

ومن ضمنها العنف المسلح والدموي والتي تكاد أن تختزل حقيقة الشخصية العراقية وميلها العجيب نحو العنف والدموية وأن هذا الكلام ليس عام وشامل للجميع بقدر ما تشير حالاته بالتزايد والتوسع والمؤشرات لضحايا العنف والأرهاب الشهرية هي دليل واضح في ذلك.

١- العنف :-

تشير كلمة العنف في اللغة العربية إلى (كل سلوك يتضمن معاني الشدة والقسوة والتوبيخ واللوم والتفريغ) وعلى هذا الأساس فأن العنف يكون سلوكاً مغلياً أو قولياً.

أما في اللغة ألانكليزية فأن الأصل اللاتيني لكلمة **Violence** هو **Valencia** ومعناها (الاستخدام غير المشروع للقوة المادية) وبهذا فأن الدلالة اللغوية لكلمة العنف في اللغة العربية أوسع من دلالتها في اللغة الانكليزية، ففي الأولى يشمل العنف إلى جانب استخدام القوة المادية أموراً أخرى لا تتضمن استخدامها فعلياً للقوة، أما في الثانية يقتصر على الاستخدام الفعلي للقوة المادية[١].

ومن معاني العنف الاجتماعية : الإكراه أو استخدام الضغط أو القوة استخداماً اما غير مشروع أو غير متطابق للقانون من شأنه التأثير على أرادة فرد ما أو مجموعة من الأفراد كالناخبين أو المشرفين على الانتخابات[٢].

ويمكن النظر إلى العنف كنمط من أنماط السلوك، ويمكن النظر إليه كظاهرة، فهو عبارة عن فعل يتضمن إيذاء الآخرين يكون مصحوباً بأنفعالات الأنفجار والتوتر، وكأي فعل أخر لابد أن يكون له هدف يتمثل في تحقيق مصلحة معنوية أو مادية. وقد ينظر أليه كظاهرة اجتماعية تتكون من عدد من أفعال مجموعة من الفاعلين تحدث في محيط معين وتكون لها درجة الاستمرارية بحيث تحتل فترة زمنية واضحة. وسواء نظرنا إلى العنف كنمط من أنماط السلوك أو كظاهرة اجتماعية فهو (العنف) أحد المظاهر التي صاحبت الإنسان خلال مختلف حقب وجوده على سطح الأرض[٣].

والعنف من وجهة النظر الحديثة مرضاً اجتماعياً أكثر من كونه جريمة ومن ثمة لابد من البحث عن أسبابه بغية معالجته، فظاهرة العنف تعد عرضاً مرضياً أو صيحة أنذار أو رسالة خطر على المجتمع ابتدأت من المناخ الاجتماعي الذي قع فيه العنف لأن ذلك قد يقود إلى جرائم كثيرة كالقتل والسرقة أو النهب أو التمرد أو الضرب والتدمير أو اتلاف الممتلكات. فالعنف هو استخدام الضغط أو القوة استخداماً غير مشروعة أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على أرادة الفرد ومن هذا الضغط والقوة تنشأ الفوضى فلا يعترف الناس

---

[١] حسين توفيق إبراهيم : ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة اطروحات الدكتوراه، بيروت، ١٩٩٠م، ص٤١.

[٢] عبد الرحمن العيسوي : سكولوجيا الطفولة والمراهقة، ط١، دار النهضة العربية، لبنان، ١٩٩٧، ص٩٩.

[٣] مصطفى عمر النير، العنف العائلي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مكتبة الملك فهد، ط١، الرياض، ١٩٩٨، ص١٥.

شرعية الواجبات ما دامت الحقوق غير معترف بها فتنشر العلاقات العدائية في المجتمع وتنشأ مجموعة أو تكتلات تتفق على صيغة تفرض بها أرادتها على الأفراد والجماعات الأخرى، وقد تجمع بين نوعين وتتطور وتطغى فتصبح إرهاباً[٤].

الشخصية :-

الشخصية هي المحصلة النهائية لتفاعل العديد من العوامل والمؤثرات الوراثية والبيئية والشخصية هي تلك البوتقة التي تنصهر فيها جميع القوى والمؤثرات التي أثرت وتؤثر في الفرد منذ اللحظة الأولى التي تتم فيها عملية الأخصاب في رحم الأم حتى فناء الإنسان أي أن الإنسان أبن البيئة والوراثة[٥].

وبهذا فأن الشخصية من أكثر الظواهر النفسية تعقيداً وذلك لأنها تشمل الصفات الجسمية والعقلية والخلقية التي تتفاعل مع بعضها وتنتج عنها بعض المشكلات التي منها العنف أضافة إلى تفاعلها مع العوامل الطبيعية والاجتماعية التي تحيط بها.

وعرفها عرفها العالم فرويد بأنها (تنظيم دينامي أي حراكي داخلي لعوامل نفسية وفسيولوجية يحقق تكيف الفرد لبيئته. هذا من الناحية النفسية، أما الاتجاه السوسيولوجي التقليدي بزعامة أميل دوركهايم الذي يعرف الشخصية (بأنها تصور في الذهن تمتلك كل الصفات التطورية الاجتماعية، والجمعية هي من نتاج المجتمع وتخضع خضوعاً تاماً للقوانين الاجتماعية)[٦].

وقد عرفها رالف ليتون بأنها (المجموعة المتكاملة من صفات الفرد العقلية والنفسية أي المجموع الأجمالي لقدرات الفرد العقلية وأحساساته ومعتقداته وعاداته واستجاباته العاطفية المشروطة)[٧].

أما التعريف الإجرائي للشخصية فهو (مجموعة من الصفات والمميزات والعادات التي ينفرد بها الشخص والتي تميزه عن غيره من الناس وتكون تلك الصفات نفسية وجسدية واجتماعية تتأثر وتؤثر بما يحيط بها).

العوامل المساهمة في ظهور العنف :-

يرتبط العنف بعدم توافر الاعتدال وعدم الصبر على الرغبات ولا ينشأ العنف على رغبة معينة، لكن عن أنكار الواقع وتحدي القانون، فقد يكون العنف أحياناً نوعاً من الرفض لحالة العجز التي تكتنف جماعة، وهناك نوع من العنف يكون مصدره رفض رؤية العالم كما يراه الآخرين أو رؤية أي شيء خلاف العالم الذي يستقر في التفكير[٨].

---

[٤] أ. فوزي أحمد بن دريدي، العنف لدى التلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٧م،ص٣٤.

[٥] د. مجيد حميد عارف، الأنثروبولوجيا التربوية، بغداد، ١٩٩٠م، ص١٤٠.

[٦] عدي صلاح شهاب، البطل في الأسطورة والتاريخ في ثقافة المجتمع العراقي، أطروحة دكتوراه، ٢٠١٤م، ص٣٤ .

[٧] زهراء عباس هادي، الثقافة والأمراض النفسية في المجتمع العراقي، رسالة ماجستير غير منشورة، ٢٠٠٩، ص١٤.

[٨] محمد الجوهري وآخرون، المشكلات الاجتماعية، ط١، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، مصر، ١٩٩٥م، ص٧١.

ولهذا يرتبط العنف بعدة عوامل وسوف نتناول مجموعة من تلك العوامل وهي:-

١- العوامل الاجتماعية :-

يختلف العالم (دوركهايم) في رأيهعن باقي الأراء، بأعتباره العنف وليد الظروف الاجتماعية ومن أشهر المدارس التي فسرت ظاهرة العنف اجتماعياً هي المدرسة الأيطالية التي حصرت أسبابه في عاملين أساسين : الأول عامل ذاتي، يتعلق بشخصية الفرد العنيف، والعامل الثاني، عامل يتعلق بالبيئة المهيأة للسلوك العنف.

أما مستوى البيئة الاجتماعية فقد كشفت الدراسات عن جانباً له أهمية في علاقة التنشئة الاجتماعية بأحتمالية العنف عند الأبناء على كلا الجانبين، إذ تبين وجود ارتباط قوي بين معاملة الوالدين للأبناء التي تنطوي على التدليل الزائد والعنف، وعلى الجانب الأخر يرتبط العنف لدى الأبناء بعنف الأب داخل الأسرة، وكثير من الدراسات أوضحت ارتباط قوي بين البيئة الاجتماعية المتسمة بالعنف وبين السلوك العنيف وكذلك انخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة[٩]، ويرى (ألبرت باندورا) أن العنف سلوك مكتسب في الوسط الاجتماعي وذلك من خلال عوامل من بينها أكتساب استجابات الإنسان لسلوك العنف عبر تجارب ماضية، والتدعيم الذي يجده الشخص الذي يمارس العنف والظروف الاجتماعية والبيئة التي تستثير العنف بصورة مباشرة[١٠].

٢- العوامل البيئية :-

أشار تقرير منظمة الصحة العالمية أن الذي عقد في جنيف على أن البيئة في المناطق العشوائية بغير المسؤول الأول عن ازدياد حالات العنف والأدمان والإرهاب في الدول النامية، وأوضح التقرير أن المسكن الجيد والمناسب من الناحية الطبيعية والاجتماعية يوفر للإنسان الصحة الجيدة سواء من الناحية النفسية أو الجسمية، وتتنامى في تلك المناطق ظاهرة العنف خاصة ضد الأشخاص ويرتبط التقرير بين السلوك العنيف وعوامل الضغط البيئي، كالضوضاء والازدحام ولوث المياه والتصميم الهندسي الرديء وعدم توفر الظروف البيئية المناسبة[١١].

وإن البيئة ذات تأثير سلبي على الأشخاص والخاصة البيئة الملوثة إذ تنتج عنها حالات الاكتئاب والدمان على الدوية والخمور وكذلك انتشار حالات الانحراف والتفكك الأسري وازدياد حالات الانحراف والتطرف وحتى الإرهاب.

٣- العوامل الثقافية :-

إن التنشئة الاجتماعية والتربية والتراث الثقافي وكذلك العلاقات الاجتماعية والسياسية تؤدي دوراً مهماً في جعل بعض الأفراد أو الشعوب أكثر ميلاً إلى استخدام العنف من غيرهم مع أن المجتمعات البشرية

---

[٩] نفس المصدر، ص٧٧ .

[١٠] د. عائض سعد أبو نجاع الشهواني، الخدمة الاجتماعية ودورها في مواجهة المشكلات الاسرية المعاصرة (العنف الأسري نموذجا)، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٩، ص١١٣.

[١١] محمد الجواهري وأخرون، مصدر سبق ذكره، ص٧٧.

القديمة والحديثة تستخدم العنف ولكن بأشكال ودرجات متباينة ففي بعض المجتمعات ترتفع معدلات الجريمة والجنوح، كما الولا يات المتحدة الأمريكية وفي أخرى تنخفض كما في السويد وهذا يعود إلى نوعية الثقافة السائدة في المجتمع وكذلك إلى المؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية التي تتدخل دوماً للحد من استخدام العنف أو تشجيعه، وهذا ما جرى في العراق وفلسطين وافغانستان ولبنان وذلك بسبب الظروف القاسية التي مرت عليها خلال العقود الأخيرة التي جرتها إلى حروب ومنازعات مع الدولة وضدها ومع الأثنيات والطوائف والأحزاب وبعضهم ضد بعضهم الأخر، ولعب الموقع الجغرافي الهام ودول الجوار والمصالح العالمية الاستعمارية المتضاربة والتخلف الاجتماعي والثقافي والسياسي عوامل مساعدة لهذه المأسي الترجيدية التي تمر بها[١٢].

أن ثقافة العنف التي فرضت على العراق في السنوات الأخيرة عملت على تفكيك منظومة القيم والمعايير الاجتماعية وأحلت محلها قيم الحرب والقمع والخوف وفرضها على المجتمع عن طريق سيطرة العصابات الإجرامية وكذلك الإرهابية على جميع مؤسسات الدولة والمجتمع وانتجت وعياً مستلباً وعنفاً مضاداً تحول فيما بعد إلى ظاهرة لحسم الخلافات والصراعات التي تحدث بين السياسيين والركض وراء الاستحواذ على السلطة والثروة مما أدى إلى عزل العراق عن العالم مما أدى إلى تدهور طرق التفكير وتشويه الثقافة وتفكيك النسيج الاجتماعي مما جعلت الفرد العراقي يصبح عدوانياً ويرتبط بالعنف بصورة مباشرة.

٤- العوامل الاقتصادية :-

تعكس العوامل الاقتصادية قضية هامة تحدد جزءاً هاماً من ملامح العنف ولاسيما العنف الأسري بأعتبارها سبباً هاماً يرتبط بالمعيشة اليومية، وبناصية توفير سبل العيش وهي ربما تمثل رأس الأسباب الدافعة لرب الأسرة للممارسة العنف وسيما مع الأبناء والزوجة وكسبب لتفريغ شحنات فشله في توفير أدنى ضروريات الحياة الأساسية التي يحتاجها وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن هناك علاقة قوية تجمع بين التمييز من حيث الجنس والفقر وبين العنف الأسري، ففي بعض الأحيان عندما يعجز الرجل عن تلبية متطلباته الاقتصادية والمادية قد يلجأ إلى طرق أخرى توفر له النواحي المادية وتشكل في ذات الوقت صورة من صور العنف كالاستيلاء على ممتلكات المرأة بالقوة، سواء كانت الزوجة أو أمه أو حماته أو بنته[١٣].

ومن الواقع أن أكثر العوامل تأثيراً على الشخص هي العوامل الاقتصادية فالضغوط النفسية تنشأ بسبب المشكلات المادية مما يؤدي إلى أختلال التنظيم الاجتماعي والعراق يعيش حالة من العوز المادي. ولاسيما بعد فترة النزوح التي أثرت على المجتمعات النازحة فالعيش في التجمعات العشوائية التي تعج بالكثير من التناقضات الاجتماعية لذلك تعد مرتع للفقر والعوز والزحام مما يفضي إلى نتائج اجتماعية وخيمة قد يكون العنف أولها.

---

[١٢] إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والأرهاب، دار الساقي، ط١، ٢٠١٥م، ص٩٣.

[١٣] باقر، أبو بكر، القضايا والمشكلات الزوجية في مجتمعات دول مجلس التعاون الخليجي، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بدولة مجلس التعاون لدول الخليج العربي، الأمارات، ٢٠٠٨، ص٦٤.

كما أن الأوضاع الاقتصادية المتدنية قد نجدها مرتبطة بمشاكل أخرى كالهجرة والبطالة ومشكلات الأسكان الشعبي المتقارب ومشاكل المواصلات ونقص الخدمات الاجتماعية الأولية. وهذه الظروف ربما تدفع الإنسان وتجعله أكثر ميلا لارتكاب جرائم العنف لمواجهة الحاجات الناجمة عن هذه المشاكل، وكذلك الفوارق الاجتماعية الطبقية وسوء توزيع الثروة الوطنية والنظرة المادية التي سادت عالم اليوم وجنوح الجميع إلى المظاهر الاستهلاكية والتقليد كل ذلك يجعل المجرمين يعيشون صور الحقد على المجتمع ويشعرون بالتفرقة والاضطهاد والقنوط والتي تترجم إلى شحنات من العنف تنفجر بمناسبة وبدون مناسبة وقد تكون فردية أو جماعية أحياناً[١٤].

شكل (١) توضيحي يبين بعض العوامل المساهمة في تكوين العنف

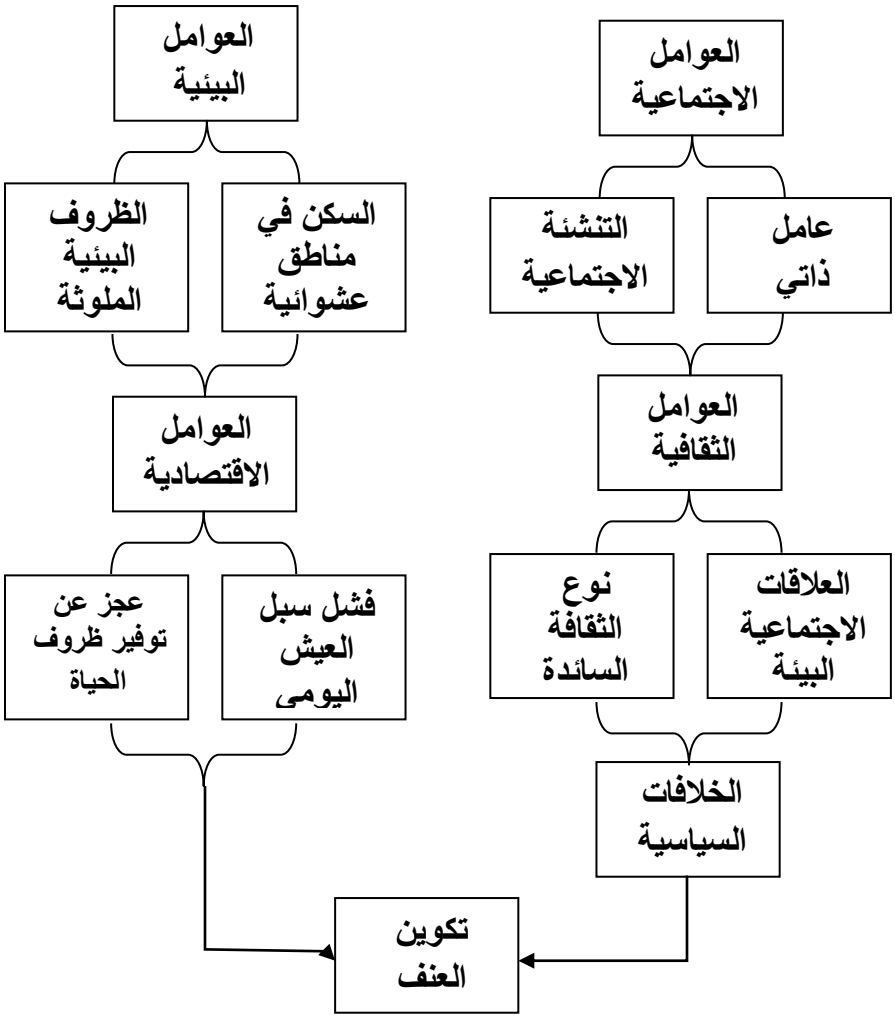

[١٤] النظم الحديثة في أدارة المؤسسات العقابية والإصلاحية، أبحاث ندوة النظم الحديثة في إدارة المؤسسات العقابية والإصلاحية، الرياض، ١٩٩٩، ص٣٥.

دراسات حول أسباب تكوين العنف في الشخصية العراقية :-

إن المجتمع العراقي ليس متفرد بظاهرة العنف بل أن هناك مجتمعات يشكل العنف سمة ثقافية بارزة في حياتها، فهناك حمامات من الدماء قد جرت في الماضي لمختلف المجتمعات ولا زالت تجري.

أن المقصود بالعنف في الشخصية العراقية كما يراها ((د. حميد الهاشمي)) هو الممارسات السلوكية القاسية التي تشكل سمات بارزة لمجتمع معين أو لثقافة بلد ما أو منظومة ثقافية لجماعة اجتماعية وان هذه السمات السلوكية العنيفة غالباً ما تكون هي البديل في حل النزاعات والصراعات وأن هذه المنازعات تتسم بسهولة تطورها من النزاع السلمي البسيط إلى الطابع العنيف للنيل من الخصم وأن هذه الحلول غالباً ما تكون بديلة عن القانون الوضعي أو الشريعة الدينية أو العرف الاجتماعي حيث الخروج السريع عن الوسائل المتعارفة في الضبط الاجتماعي[١٥].

لقد اشتد العنف في المجتمع العراقي وفي الشخصية العراقية بعد الاحتلال لعام ٢٠٠٣ وبالرغم مما تحمله الشخصية العراقية من صفات حسنة ورفيعة التي يتحلى بها العراقيون إلا أن أكثر المنظرين المعاصرين من ذوي الاهتمام بالشخصية العراقية ولاسيما المعايشين منهم للشخصية العراقية والمجتمع العراقي يقولون أن الشخصية العراقية شخصية عنيفة نسبياً تميل في ظروف معينة إلى العنف والاعتداء على الأخر لافتقارها إلى ثقافة الحوار الهادئ بالتعبير عن مطالبها وحقوقها، وكما تميل في الغالب إلى عدم الاعتراف بالخطأ حال وقوعه خالقة شتى الأعذار والمبررات لذاتها في ممارسة العنف بمختلف أشكاله.

ومن أبرز المفكرين الذين تحدثوا عن الشخصية العراقية هم (الدكتور علي الوردي والدكتور قاسم حسين والدكتور عبد الجليل طاهر) وسوف نناقش آراء كل واحد منهم.

أولا : الدكتور علي الوردي :-

يعتمد الدكتور علي الوردي في تحليلاته للمجتمع العراقي على آراء ابن خلدون إذ يعتقد أن العامل الرئيس للعنف والصراع في الشخصية العراقية يرجع إلى (صراع البداوة والحضارة) ومفادها أن الشعب العراقي واقع بين نظامين متناقضين من القيم الاجتماعية الآتية من الصحراء المجاورة وقيم الحضارة المنبثقة من تراثه الحضاري القديم، والمتوقع في مثل هذه الحالة أن يعاني المجتمع العراقي صراعاً اجتماعياً ونفسياً على توالي الأجيال فهو من ناحية لا يستطيع أن يطمئن قيمة الحضرية زمناً طويلاً لأن الصحراء تمده بين آونة وأخرى بالموجات التي تفسد عليه طمأنينته الاجتماعية، وهو من الناحية الأخرى لا يستطيع أن يكون بدوياً كأبن الصحراء لأن الحضارة المنبثقة من وفرة مياهه وخصوبة أرضه تضطره إلى تغيير القيم البدوية الوافدة اليه لكي يجعلها ملائمة لظروفه الخاصة[١٦].

---

[١٥] د. حميد الهاشمي : العنف في الشخصية العراقية، شبكة المعلومات الدولية "الأنترنت" وعلى الموقع : http://www.alhashimi.com

[١٦] د. علي الوردي : دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، منشورات سعيد بن جبير، قم، ط١، ٢٠٠٥، ص١١-١٢.

ويعتقد الدكتور الوردي أن العراق كان من أوائل الأقطار في العالم التي نشأت فيها طبقتان (طبقة حاكمة وطبقة محكومة) وبعبارة أخرى : غالبة ومغلوبة، ففي العراق هناك طبقتين أو حضارتين تتصارعان، حضارة بدوية محاربة من ناحية وحضارة زراعية خاضعة من ناحية أخرى، فنشأ على ذلك نضامان للقيم : نظام يؤمن بالقوة والعنف تسود فيه قيم الإباء والشجاعة والكبرياء وكل صفات المحارب الفاتح، وبجانبه نظام أخر يؤمن بالكدح والصبر والخضوع والتباكي، ومن هنا نشأ الصراع الحضاري أو ما يسمى في علم الأنثروبولوجيا.

(Culture of Clash) هذا وقد أثر في شخصية الفرد العراقي تأثيراً بليغاً وهذا جعل الفرد العراقي مضطراً أن يقتبس نوعين من القيم الاجتماعية أو يقلد طبقتين من الناس : طبقة البدوي الغالب وطبقة الفلاح المغلوب، فتارة يؤمن بالغلبة ويباهي بها ويحاول أن يظهر قوته على غيره وتارة يئن من ضعفه وسوء حضه شاكياً ظلم الناس له، فقيم البداوة والحضارة قد ازدوجتا وتصارعتا في العراق منذ أقدم العصور ولا تزال تصطرع في أنفسنا حتى يومنا هذا[١٧].

وبهذا فأن التصادم في القيم والثقافة التي يحملها الشخص العراقي أدى إلى ما يسمى بازدواجية الشخصية العراقية) وبهذا فأن مرجعية العنف في الشخصية العراقية كما يراها الدكتور الوردي هو (صراع بين ثقافتين) البدوية والحضرية.

ثانياً : الدكتور عبد الجليل طاهر :-

يذهب الدكتور عبد الجليل طاهر إلى القول أن الشخصية العراقية (متقوقعة وقلقة) من خلال الانتماء المتحجر إلى الأسرة أو المحلة أو القبيلة أو الطبقة أو الطائفة أو الحزب أو غيرها من الانتماءات الجزئية التي تجبر وجدان العراقي جبراً غير متناسق الى بؤر ولائية مليئة بالمياه الأسنة من الأحقاد والضغائن تختلف في عفونتها وعمقها وتؤدي بالنتيجة إلى تصعد البناء النفسي للشخصية والبناء الاجتماعي للمجتمع العراقي[١٨].

فالعراقي يؤلف من وجدان شخصيته سلم من الولاءات المتناقضة في حركة من الصعود والهبوط فهو مرة يضع الأسرة أو القبيلة أو المحلة أو المدنية، ومرة أخرى يضع الطائفة أو الطبقة فوق كل اعتبار ويرتبط بكل ولاء دور معين يقوم به الفرد العراقي فتتحدد خطوط حياته اليومية بحدود تلك القواقع الولائية إذ فيها يولد ويترعرع ويكبر، وفي أطارها يتزوج ويربي أطفاله، وفيها يموت ويحفر قبره[١٩].

وبهذا يعتقد الطاهر أن الشخصية القوقعية القلقة التي تشكلت نتيجة الصراعات المستمرة للقواقع المتعارضة والمتناقضة وبقاء الولاءات القوقعية القديمة العالقة كرواسب ونقلها إلى الحركات السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية غالبا ما تتميز هذه الشخصية بالعنف في معاملة الخصوم، ولعل السبب في ذلك

---

[١٧] د. علي الوردي، شخصية المجتمع العراقي، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥١، ص٤٠-٤١.

[١٨] د. عبد الجليل الطاهر : القوقعة والقلق في الشخصية العراقية، مجلة المثقف العربي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، العدد ١١، ١٩٦٩، ص٣٥.

[١٩] د. عبد الجليل الطاهر، المصدر نفسه، ص٣٨.

يرجع إلى تراكم المظالم عند العراقيين وتجمع الحرمان والانتظار لمدة طويلة وخوفاً من فوات الفرصة وشل حركة الخصوم وترجع جذور هذه الظاهرة إلى الماضي السحيق[٢٠].

ثالثاً : الدكتور قاسم حسين :-

لقد وضع الدكتور قاسم حسين أسباب عديدة في تراكم العنف أو تشكيل العنف في الشخصية العراقية ومن هذه العوامل أو الأسباب هي :

الصراع على السلطة :-

أشار إلى أن بذور العنف في الشخصية العراقية كان يعد ظهور الإسلام وبداية الصراع على السلطة خاصة بعد عام (٦١هـ) واحداث كربلاء ومقتل الحسين (ع) أصبحت هناك جبهتان في العراق أحدهما : جبهة السلطة والأُخرى : جبهة العامة من الناس، وكل واحد منهما ترى نفسها على حق والأخرى على باطل، ومن هنا نشأت قطيعة نفسية بين الجبهتين (السلطة والناس) دفعت كل واحد منهما إلى استخدام كل ما لديها من وسائل العنف والعدوان وبذلك مارست السلطة ثقافة العنف والقتل والرعب والخوف وقطع الرؤوس بل لأقى العراقيون أشد ألوان القتل والصلب والتقطيع والتمثيل بالجثث[٢١]، وبهذا يرى الدكتور قاسم حسين أن التنافس على السلطة ادى إلى تجمع طاقة العنف في الشخصية العراقية وعلى مر العصور.

١- الإحباط واليأس والحرمان الشديد :-

وحسب رأيه يرى أن الإنسان عندما يحرم من تحقيق أهدافه وإشباع رغباته وحاجاته النفسية والبيولوجية والاجتماعية أو يحصل على أقل من استحقاقه أو أن جماعته تحصل على أقل ما تحصل عليه الجماعات الأخرى فأن هذا ينتج الإحباط واليأس الشديد وهذا سببه أيضاً السلطات التي حكمت العراق إذ لا تعرف إلا منطق القوة وثقافة العنف في معاملته أفراد مجتمعها وبذلك عجزت عن توفير الأمن للإنسان بكل أشكاله وهذا ما عاشه العراقيون في ظل حكوماتهم حتى عام ٢٠٠٣ وهذا مما ولد وأنتج أفراداً ميالون لممارسته العنف تعبيراً عن تلك الحاجات المحرومة والأزمات المتعددة.

٢- اللاشعور الجمعي للعراقيين معبأ بالعنف منذ القديم :-

وهذا حسب ناتج بسبب كثرة الحروب والهجمات والصراعات الدموية المتكررة في بلادهم، فالفرد العراقي يكون بذلك مهيأ ومستحضر للعنف من خلال هذه الانفعالات اللاشعورية لحل أزماته المعاصرة.

٣- الصراع الطائفي في العراق :-

ويكون من خلال الأقصاء الطائفي أو التهميش لطائفة معينة عن السلطة وأبعادها عن مراكز الحكم والقرار السياسي، أو تصارع دولتين مختلفتين في العقيدة وهذا ما أبتلى به العراقيون وكما يقول الدكتور علي الوردي إذ أن الصراع الطائفي كان موجوداً في العراق منذ صدر الإسلام وطالما شهدت بغداد في العهد

---

[٢٠] د. عبد الجليل طاهر، مصدر سابق، ص٤٣.

[٢١] د. قاسم حسين الصالح : نظرية الوردي لم تعد صالحة، شبكة المعلومات الدولية الانترنت، ٢٠٠٨ : http://www.radiodijla

العباسي معارك بين (المحلات السنية) و (المحلات الشيعية) يسقط من خلال هذا العنف الطائفي الكثير من القتلة وتحرق البيوت والأسواق وتنتهك حرمة المراقد المقدسة والجوامع ولكن هذا الصراع بلغ أوجه عندما حدث التنازع على العراق بين الدولتين الصفوية التي اتخذت من (التشيع) شعاراً لها والدولة العثمانية التي اتخذت من (التسنن) شعاراً لها ومن هنا نشأ المثل المشهور في العراق (بين العجم والروم بلوة ابتلينا) وقد استمر هذا الصراع ما يزيد على ثلاثة قرون[٢٢].

وأن العراقيين ينسون من نزاعهم الطائفي كل فريق منهم إلى الرجل الذي يعدونه رمز عصبيتهم الطائفية ، فيقال أن هؤلاء (ربع علي) وأولئك (ربع عمر وكل فريق منهم يتصور نفسه كأنه عشيرة الرجل وهم يتحمسون له كما تتحمس القبائل عند القتال تحت راية شيخها الكبير[٢٣].

٤- وجود الأجنبي :-

إن الاحتلالات المتكررة للعراق منذ عقود قديمة وعبر مراحل التاريخ هي سبب من أسباب انتشار العنف فغالباً ما تشير عند أبن الوطن الأحساس بالذلة والأهانة والتحقير وهذا يدفعه إلى رد الاعتبار النفسي والوطني ويكون ذلك من خلال موجات من العنف ضد المحتل أو المتعاونين معه بالسلطة والمصالح وهذا ما كرسه الاحتلال الأخير بعد عام ٢٠٠٣.

[٢٢] د. علي الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، دار الكتاب الإسلامي، قم، ط١، ج١، ٢٠٠٥، ص١٤.

[٢٣] د. علي الوردي، المصدر نفسه، ص٢٤.

شكل (٢) يبين تكوين العنف بحسب رأي الدكتور قاسم حسين

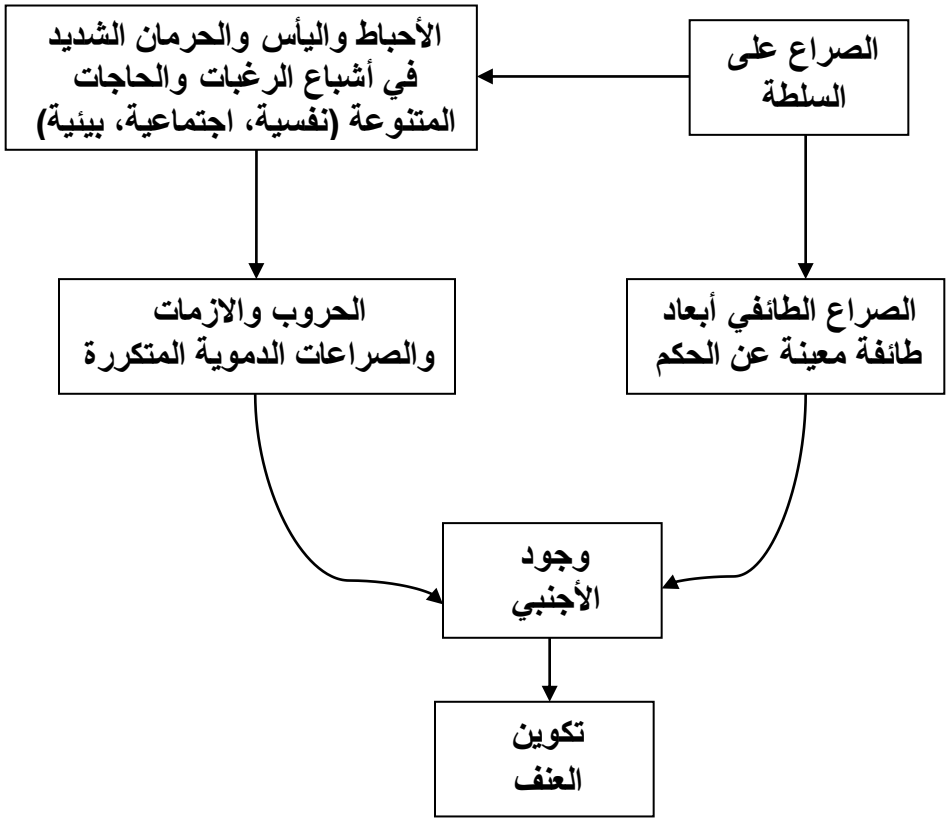

مؤشرات العنف بالعراق بعد عام ٢٠٠٣ :-

مقدمة :-

أن الأنظمة السياسية في العراق هي التي عززت ثقافة العنف في المجتمع العراقي نتيجة القمع والاضطهاد والظلم المتواصل والاحتكار للسلطة هذا بالنتيجة أدى إلى تعزيز شكله العنف والصراعات الدموية التي قل نظيرها في المجتمعات الأخرى وبما أن لظاهرة العنف وتكوينه قديمة في الشخصية العراقية حيث شهد المجتمع العراقي عام ١٩٥٨ مقتل الوصي عبد الإله وأخرون معه وتم تقطيع ايديه والطواف به في شوارع بغداد وبهذا تشكل ظاهرة التمثيل بالجثث وتقطيع أوصاله ظاهرة قديمة في المجتمع العراقي.

وفي عام ١٩٦٣ قتل الزعيم عبد الكريم قاسم وآخرون معه وقد جرى التمثيل بهم وقد رميت جثته في نهر دجلة وشوي بالنار سكرتير الحزب الشيوعي العراقي وعدد من أعضاء الحزب وهم أحياء[٢٤].

[٢٤] د. قاسم حسين الصالح : العنف والشخصية العراقية، شبكة المعلومات الدولية، الانترنت، ٢٠٠٨، الموقع : http://www.radiodijla .

وفي عام ١٩٨٨ أبيدت العشرات من القرى الكردية في شمال العراق في عمليات الأنفال والتي راح ضحيتها (١٨٠,٠٠٠) مئة وثمانون ألف كردي وكذلك منطقة حلبجة من العام نفسه إذ أبيدوا جميعاً باستخدام الأسلحة الكيمياوية وقد تم دفنهم في مقابر جماعية.

هذا فضلاً عن أن هناك أحداث كثيرة استخدم العنف فيها ولكن حاولت أن أركز على الجانب الأهم وهو مؤشرات العنف بعد عام ٢٠٠٣.

مؤشرات العنف بعد عام ٢٠٠٣ :-

لقد شهد العراق بعد إنهيار سلطة الدولة في عام ٢٠٠٣ عنفا منقطع النظير إذ تحول العنف من شكله العمودي إلى عنف أفقي بين مكونات المجتمع العراقي وذلك باتخاذ العنف طابعاً طائفياً ومناطقياً وسياسياً خاصة بعد التفجيرات الكبرى التي حدثت للمرقدين العسكريين في مدينة سامراء في ٢٠٠٦/٢/٢٢ إذ أكدت المؤشرات أن العنف ازداد بشكل كبير وقفز بشكل غير متوقع بعد هذه الأحداث الكارثية، إذ حصد العنف أرواح آلأف من الناس فالعنف بعدها لم يعرف رحمة أو رأفة لا للصغير ولا الكبير، الرجال والنساء البريء أو المدان، فتوزع العنف على كافة المحافظات العراقية ليشمل المجتمع بأسره بكل أديانه وطوائفه ومذاهبه وقومياته إلا أن معركة العنف خاسرة والكل فيها خاسرون[٢٥].

ومن خلال البيانات والمؤشرات الخاصة بضحايا العنف في العراق للأعوام (٢٠٠٦، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨) هي الأشد عنفاً والأكثر دموية حيث اصبحت الجماعات المسلحة تقتل وتهجر على الهوية والانتماءات الطائفية أو المذهبية أو العرقية فأصبح لدينا مناطق عنف ساخنة، ويعد العام ٢٠١٤ والعام ٢٠١٥ الأكثر أحداثا والأكثر تعرضا للعنف، حيث أعلنت بعثة الأمم المتحدة في العراق (يونامي) عن مقتل وأصابة أكثر من ٢٨٧١٩ شخصا خلال العام ٢٠١٤ فيما اعتبرت مفوضية حقوق الإنسان العراقية أن العام ٢٠١٤ (الأكثر دموية وعنفاً في العراق) حيث شهد العام ٢٠١٤ سقوط (١١٤٨٤) قتيلا ونحو (١٧٢٣٥) جريحاً جراء التفجيرات والعمليات الإرهابية في العراق أما في شهر كانون الثاني من نفس العام فقد بلغ عدد القتلى (٧٣٣) وعدد الجرحى (١٢٢٩) موضحة أن هذه الاعداد لا تشمل الخسائر الناتجة عن القتال الدائر في الأنبار.

ومن جهة أخرى أعلن موقع (أراك بدي كاونت) الأمريكي المعني بإحصاءات الوفيات في العراق أن حصيلة ضحايا العنف الموثقة لعام ٢٠١٤ تجاوز الـ ١٧ الف مدني فيما أكد أن أعداد ضحايا العنف الموثقة في العراق منذ عام ٢٠٠٣ وحتى نهاية عام ٢٠١٤ بلغت (٢٠٢) الف شخص وكانت حصيلة عام ٢٠١٤ هي الأعلى منذ عام ٢٠٠٧ الذي شهد وفاة أكثر من (٢٥) ألف عراقي[٢٦].

---

[٢٥] نصير فكري، ثقافة العنف المسلح دراسة انثروبولوجية، مدينة بعقوبة أنموذجاً ، ٢٠١٠.

[٢٦] منظمة الاتحاد التابعة للأمم المتحدة في العراق، ٢٠١٤ أكثر الأعوام وحشية ودموية في العراق وعلى الموقع : www.alittdad.com

لقد أكدت المفوضية العليا لحقوق الإنسان أن عام ٢٠١٤ أكثر الأعوام عنفاً ووحشية في العراق بسبب جرائم عصابات داعش الإرهابية مبينة أن عدد الانتهاكات يحق العراقيين تجاوز الثلاثة ملايين و (٩٨١) ألفا و (٥٩٧) انتهاكا ارتكبتها العصابات الإرهابية في العراق[٢٧].

وقد ارتكبت عصابات داعش الإرهابية أبشع الجرائم بحق المدنيين من مختلف مكونات الشعب العراقي وكذلك منتسبي القوات الأمنية وخاصة المناطق التي سيطرة عليها إذ اعتمد خطط التهجير والخطف والسب والقتل ومختلف الأساليب الأخرى وبهذا فأن الحروب والصراعات الداخلية التي تعرض لها العراق ادت إلى أن يحتل العراق المراتب الأولى في الدول الأسوأ وعالميا والأكثر ارتكابا للعنف وفي عام ٢٠١٤\ جاء العراق في المرتبة الأولى عالمياً من حيث التعرض إلى مخاطر العنف السياسي.

ولعل ما تعانيه نساء وأطفال العراق جراء الفظائع التي ارتكبها عصابات داعش من تهجير وقتل وخطف وعنف جنسي وتجار وأسوء أشكال المعاملة وتجنيد الأطفال أنموذجا لبشاعة تأثيرات الصراعات المسلحة التي جرت في العراق مما ادى إلى النزوح القسري لما يزيد على (٣ مليون) ومئتين ألف إنسان عراقي تشكل النساء والأطفال النسبة الأكبر منهم (ما يقارب ٥٨%) [٢٨].

وبهذا سوف يحاول الباحث أن يوضح الإحصائيات وتوضح أثار العنف المسلح ومخلفاته في المجتمع العراقي إلى عام ٢٠١٥ في جدول أولي وهي كالأتي:

أولا: إحصائيات الأعوام الأكثر عنفاً في العراق بحسب مؤشرات وزارة الصحة العراقية وتقرير الامم المتحدة في العراق بعد عام ٢٠٠٣ فيما يخص ضحايا العنف من الشهداء المدنيين. وكما موضح في الجدول الاتي :

[٢٧] منظمة الاتحاد التابعة للأمم المتحدة في العراق، مصدر سابق.

[٢٨] د. بشر العبيدي : الانتهاكات والجرائم المرتكبة من تنظيم داعش الإرهابي ضد النساء والفتيات العراقية، ٢٠١٤، بغداد، بحث غير منشور، ص٥.

جدول رقم (٣) يوضح ضحايا العنف (الشهداء المدنيين) للمدة من ٢٠٠٤-٢٠٠٨[٢٩]

السنة	ضحايا العنف (الشهداء)
٢٠٠٤	٥٢٧١
٢٠٠٥	٨٠٩٣
٢٠٠٦	١٧٨٣٢
٢٠٠٧	١٣٦٩٢
٢٠٠٨	٦٧٨٧
٢٠١٤	٤٢٠٠٠
٢٠١٥*	٢١١٢١
مجموع السنوات السبعة الأكثر عنفاً	١١٤,٧٩٦

* تقرير الأمم المتحدة في العراق لعام ٢٠١٤-٢٠١٥

هذه مؤشرات العنف المسلح في العراق وهذه الأعداد تبين فقط الشهداء من العراقيين وخلال السنوات السبعة التي كانت أكثر عنفا والتي حصدت العديد من الأرواح، فضلاً عن أعداد النازحين جراء الأعمال العسكرية التي اجتاحت معظم محافظات العراق كالأنبار والموصل وديالى وأطراف مدينة بغداد إذ بلغ عدد النازحين أكثر من أربعة مليون نازح فضلاً عن أن هناك أعداد كبيرة من الجرح والمصابين بسبب العنف الدائر والعمليات العسكرية بين الجيش وبين ما يسمى (تنظيم داعش).

ومن هنا حاول الباحث توضيح أبرز مظاهر ومؤشرات العنف المسلح لهذه الأعوام الأكثر أحداثاً وهي كالأتي :

١- القتل على الهوية.

٢- عمليات نحر الضحايا.

٣- عمليات تفخيخ جثث الضحايا.

٤- تهديد الأجهزة الأمنية العراقية بالفعل وتحريم الانخراط فيها.

٥- الشعارات الرمزية الداعية لثقافة العنف التي كانت تكتب على جدران البيوت أو الشوارع.

٦- تهديم وتفجير المساجد والحسينيات.

٧- تفجير بيوت المنتسبين من الجيش والشرطة.

٨- التهجير القسري الذي مارست عناصر داعش وكذلك الميليشيات الخارجة عن القانون.

٩- العمليات الانتحارية بالأحزمة الناسفة أو عجلات مفخخة.

١٠- شيوع ظواهر الفكر المتطرف والمتعصب للمذاهب والقوميات.

[٢٩] تقرير أعدته وزارة حقوق الإنسان العراقية ٢٠٠٨ وبالتعاون مع بعض الوزارات العراقية الأخرى كالصحة والمهجرين والتعليم العالي وبعض المنظمات والنقابات المهنية.

١١- شيوع ظاهرة الانتقام من الخصوم سواء كان من الجيش أو الميليشيات أو داعش.

١٢- العنف المسلح ضد النساء والأطفال.

١٣- العنف المسلح ضد الكفاءات العراقية.

١٤- جرائم الخطف ضد المدنيين.

نتائج الدراسة :-

١- لقد أدى العنف المسلح في العراق إلى هجرة الآلاف من العوائل العراقية داخل وخارج العراق وذلك حفاظا على حياتها وحياة ابناءها فضلا عن هجرة العديد من الخبرات العراقية (أطباء، أساتذة جامعيين، قضاة، مهندسين) بسبب الاستهداف الذي يتعرضون له وبشتى أنواع العنف.

٢- ان العنف في العرق ليس له هوية معينة، فالعنف قد استهدف الجميع وطال جميع مكونات الشعب العراقي وجميع الأماكن.

٣- شكل العنف ملمحاً أساسيا من ملامح الشخصية العراقية قديما وحديثا أن لم يكن في جذور التكوين العراقي كالمناخ والبيئة.

٤- تبين أن ثقافة العنف في المجتمع العراقي كان لها دعم خارجي واقليمي ولاسيما دول الجوار وقد يكون ذلك العنف مدعوم بشتى الأساليب ومما زاد في ذلك هو التدخل الأجنبي والتدهور الأمني.

٥- أن التناقض في القيم الاجتماعية التي يعيشها أو عاشها المواطن العراقي قبل عام ٢٠٠٣ وبعده وقيم البداوة والحضارة المنبثقة من تراثه الحضاري أدت إلى صراعات اجتماعية ونفسية على الأجيال الحالية بسبب التصادم في القيم الثقافية التي يحملها الشخص العراقي وبهذا يرى الدكتور علي الوردي أن تكوين العنف في الشخصية العراقية ناتج عن الصراع بين ثقافتين.

٦- سيطرة الولاءات الطائفية والحزبية والمناطقية أدت إلى ظهور أشكال العنف في الشخصية العراقية وبهذا تتولد لديه صراعات مستمرة ومتناقضة وتمتاز بالعنف في المعاملة.

٧- أدى الصراع على السلطة والصراعات الطائفية الى تكوين الشخصية العراقية العنيفة ولاسيما بعد مشاهدته حالات القتل والدماء مما ولد لديه شعور نفسي ميالاً إلى العنف.